﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرّبطُ بينَ مَن لا يَنتفعونَ بِسمعٍ ولا نظرٍ، ومَن ظلموا أنفسَهُم، دونَ أن يَظلمَهُمُ الله

لَمّا ذَكَرَ اللّه ﷻ أنَّ هؤلاء المُشركين لا يَنتفِعون بِسمعِهم ولا بِنظرِهم، وأنَّه لا طريقَ إلى هِدايَتِهم؛ بيَّنَ سُبحانَه أنَّ ذلك واقعٌ لاستِحقاقِهم إيّاه؛ بِسببِ ظُلمِهم أنفُسَهُم، وأنَّ اللّه ﷻ لَم يَظلِمهُم ولَم يَظلِم أحدًا غيرَهُم، فقال سُبحانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَا يَظۡلِمُ﴾: أصلُ (ظلم): وضعُ الشَّيءِ في غَيرِ مَوضِعِهِ، كقولِهم: ظَلَمَ الأرضَ: إذا حَفَرَها في غَيرِ مَوضِعِ حَفرِها[1]. والظُّلمُ: الميلُ عنِ القَصدِ، والعربُ تقولُ: الْزَم هذا الصَّوبَ ولا تَظلِم مِنه شيئًا؛ أي: لا تَجُرّ عَنهُ[2]، وضِدُّه: العَدلُ. والظُّلامةُ: مَظلَمتُكَ تطلُبُها عندَ الظّالم، وظَلَّمتُه تظليمًا: إذا أنبَأتَه أنّه ظالمٌ. وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ؛ أي: احتَمَلَ الظُّلمَ بطيبِ نفسِهِ[3]. والظُّلمُ في الآيةِ مَحمولٌ على ظاهِرِهِ، وهو نقصُ ما تقتضي الخلقةُ الكاملةُ وجودَهُ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللـه تعـالى لا يَظلِمُ النّاسَ شيئًا، ولكنّ النّاسَ أنفسَهُم يَظلمون

بَيَّنَ اللّه ﷻ سُنَّةً مِن سننِه الَّتي لا تتخلَّفُ، فأخبرَنا في هذه الآيةِ: أنّه تعالى لا يفعلُ بخلقِه ما لا يَستحقّونَ منهُ؛ فلا يسلبُ أحدًا الإيمانَ، ولا يصرفُه عنِ الهدَى إلّا إذا استحقَّ ذلك؛ لكمالِ علمِه سبحانَه

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ظلم).
(3) الخليل، العين: (ظلم).
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/315.

وحكمتِه وعدلِه، وأيضًا فهو لا يُعاقِبُ مَن لَم يَستوجِبِ العقابَ، ولا يزيدُ في سَيِّئاتِ المُسيئينَ، ولا يَنقُصُ مِن حَسَناتِ المُحسِنينَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فُصّلت: 46]. ولكنَّ النّاسَ هُمُ الّذينَ يَظلِمونَ أنفُسَهم، ويَضُرّونَها بكُفرِهم باللّه ومَعصيتِه، فيستَحِقّونَ عقابَهُ، ولا يَضرّونَ اللّه شيئًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ الفَصلِ في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ﴾:

أثرُ الاستِئنافِ البيانيِّ في إبرازِ مُتابعةِ المُتَلَقّي وشَوقِهِ

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، فبينَ الجُملتينِ شِبه كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ هذه الآيةَ واردَةٌ جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ مِنَ الأولى، وذلك أنَّ اللّه سُبحانَه لمّا قال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ أورثَ ذلك في نفسِ المتَلَقّي سؤالًا، وهوَ: لِمَ حكمَ اللّه سُبحانَه عليهم بعدمِ الاهتداءِ، والأمرُ كُلُّه بيدِه؟ فجوابُ الجوابِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، وأنَّ ما فُعِلَ بهم كانَ بسببِ ظُلمِهم أنفسَهُم، ولم يكُنْ ناشئًا عَن ظُلمِ اللّه تعالى لَهُم؛ إذ هو سُبحانَه لا يَظلِمُ النّاسَ شيئًا.

نُكتةُ تَوالي المُؤَكِّداتِ في الجملةِ المُصدَّرةِ بالأداةِ ﴿إِنَّ﴾:

نَفيُ الظُّلمِ عن اللّه تعالى، يَستَلزِمُ إثباتَ كمالِ عَدلِه سُبحانَهُ

قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، أُكِّدَ بجملةٍ مِنَ المُؤكِّداتِ؛ وهي: إنَّ، واسميَّةُ الجملةِ، وتأخيرُ المُسندِ الفعليِّ، والقصدُ منه المُبالَغَةُ في نَفيِ الظُّلمِ عن اللّه تعالى، والمعنى: "أنَّه تعالى ما ألجأَ أحدًا إلى هذه القَبائِحِ والمُنكَراتِ، ولكنَّهُم باختيارِ أنفُسِهِم يُقدِمونَ عليها ويُباشِرونَها"[2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/187، ورشيد رضا، تفسير المنار: 11/316، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 365.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/259.

ونفيُ الظُّلم عن الله سبحانَه ليسَ لِكونِه يَتصرَّفُ في مُلكِه، ومَن كانَ كذلكَ لَم يكُنْ ظالمًا؛ كما ذهبَ إليه بعضُ المُتكلِّمينَ، الّذينَ يرَونَ حقيقةَ الظُّلمِ: تصرُّفُ الواحدِ في غيرِ مُلكِه، وإنَّما حقيقةُ الظُّلمِ: وضعُ الشَّيءِ في غيرِ محلِّه اللّائقِ به، وهذا الّذي يكونُ نفيُه كمالًا في حقِّ اللّه ﷻ؛ لأنَّه يتضمَّنُ كمالَ ضِدِّه، وهو كمالُ عدلِه تعالى.

وفي هذا "وَعيدٌ للمُكَذِّبينَ؛ يعني: أنَّ ما يَلحَقُهُم يومَ القيامَةِ مِنَ العَذابِ لاحِقٌ بِهِم على سبيلِ العَدلِ والاستيجابِ، ولا يَظلِمُهُمُ اللّه بِهِ، ولكنَّهُم ظَلَموا أنفُسَهُم باقترافِ ما كان سَبَبًا فيهِ"[1].

النُّكتةُ في تَوَسُّطِ النَّفي بينَ المُسنَدِ إليه والمُسنَدِ الفعليِّ:

ظُـلـمُ الـنّـاسِ أنفُسَهُم يكونُ بارتكابِ المُنكَراتِ

وُسِّطَ النَّفيُّ بينَ المُسندِ إليه والمُسندِ الفِعليِّ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾؛ لإفادةِ التَّخصيصِ؛ أي: أنَّ اللّه تعالى لا يَظلِمُ النّاسَ بِعقابِ مَن لا يَستَحِقُّ، ولكِنَّ النّاسَ هُم الَّذينَ يَظلِمونَ أنفُسَهُم فَيَستَحِقّونَ العِقابَ؛ والمعنى: يَظلِمونَ أنفُسَهُم بارتكابِ القبائِحِ والمُنكراتِ، فَيُعاقَبونَ عَدلًا مِنه تعالى بسببِ ظُلمِهِم.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَظۡلِمُ﴾:

الظُّلمُ مَنفيٌّ عن اللّه تعالى نَفيًا مُستمِرًّا ودائمًا

في قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، الفعلُ المضارِعُ يُفيدُ في أصلِ دلالتِه على التَّجدُّدِ والحدوثِ، والفعلُ ﴿يَظۡلِمُ﴾ مِن قَولِ اللّه سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ دالٌّ على تجدُّدِ الظُّلمِ وحُدوثِه شيئًا فشيئًا، وتسلُّطُ النَّفي عليه أفادَ استمرارَ هذا النَّفي لا نَفيَ الاستمرارِ؛ إذْ مِنَ الظّاهِرِ والبيِّنِ أنَّ المرادَ نَفيُ وقوعِ الظُّلمِ مِنَ اللّه ﷻ مُطلَقًا، في أيِّ زمنٍ مِنَ الأزمانِ، وليسَ المرادُ أنَّه إنْ وَقَعَ مِنه ظُلمٌ فإنَّ هذا الظُّلمَ لا يتجدَّدُ ولا يستمرُّ، قال الآلوسيُّ: "وصيغةُ المُضارعِ للاستمرارِ نَفيًا وإثباتًا، أمّا الثّاني فظاهِرٌ، وأمّا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/239.

الأوَّلُ فلأنَّ حرفَ النَّفي إذا دخلَ على المُضارعِ يُفيدُ بحسبِ المَقامِ استمرارَ النَّفي لا نَفيَ الاستمرارِ"[1].

دِلالةُ التَّعريفِ بـ(ال) في: ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

كَثْرَةُ مَن يَظلِمُ نَفسَه مِنَ النّاسِ، نُزِّلَت مَنزِلَةَ الحُكمِ الشّامِلِ

مَجيءُ اللّام في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الأولَى من قولِ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ يُفيدُ استغراقَ عُمومِ جنسِ النّاسِ، فيندرجُ تحتَه كُلُّ ما يتناولُه اللَّفظُ على سبيلِ الحقيقةِ، فهو استغراقٌ حقيقيٌّ، بخلافِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثّانيةِ الواردةِ في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، فاللّامُ فيها لِلاستغراقِ أيضًا، ولكنَّ هذا الاستغراقَ لم يَجرِ على حقيقتِه، وإنَّما المرادُ به الخصوصُ، وهُمُ الّذين وَقَعَ مِنهُم ظُلمٌ لأنفسِهم، فيكونُ هذا مَجازًا مُرسَلًا، بعلاقةِ العموميَّةِ، والنُّكتةُ في التَّعبيرِ بصيغةِ العُمومِ مع أنَّ المرادَ الخصوصُ: الإيماءُ إلى كثرةِ مَن يَظلِمُ نفسَه مِنَ النّاسِ، حتَّى جُعلَت هذه الكثرَةُ بمنزلةِ الأمرِ الشّاملِ المحيطِ، كما قال ابنُ عاشورٍ: "وعُمومُ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الأوَّلُ على بابِه، وعُمومُ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثّاني مُرادٌ به خُصوصُ النّاسِ الَّذينَ ظَلَموا أنفُسَهُم بقرينةِ الخبرِ. وإنَّما حَسُنَ الإتيانُ في جانبِ هؤلاءِ بصيغةِ العُمومِ تَنزيلًا لِلكَثرَةِ مَنزِلَةَ الإحاطَةِ؛ لأنَّ ذلكَ غالِبُ حالِ النّاسِ في ذلكَ الوقتِ"[2].

بلاغةُ تنكيرِ: ﴿شَيۡـٔٗا﴾:

نَفيُ الظُّلمِ عن اللهِ تعالى دالٌّ على كمالِ عَدلِهِ

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، وفيه جاءَت كلمةُ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرَةً لِتَعُمَّ كلَّ ما تَتعلَّقُ به مصالِحُهُم وكَمالاتُهُم مِن أسبابِ العُلومِ، وأُسُسِ الإدراكاتِ، وإرشادِهِم إلى الحقِّ؛ مِن إرسالِ الرُّسُلِ عليهم السلام، وإقامةِ الأدلَّةِ والبراهينِ؛ تَكرُّمًا منه ﷻ. ووجه إفادَةِ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ العُمومَ كونُها نكرةً واردَةً في سياقِ النَّفي.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/126.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/180.

نُكتةُ تقديمِ المفعولِ الأوَّلِ: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾:

بيانُ بُطلانِ أعمالِ المُشركينَ، ورِقَّةِ عُقولهم وسَخافَتِها

قُدِّمَ المَفعولُ الأوَّلُ لـ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، فلم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (ولكنَّ النّاسَ يَظلمونَ أنفسَهُم)، وذلك مَراعاةً لِلفاصلةِ مع ضميمةِ إرادةِ الاهتمامِ؛ إذِ التَّعليلُ بمراعاةِ الفاصلةِ وحدَه ليسَ مِنَ المذاهبِ المرضيَّةِ في البيانِ، وليسَ القصدُ مِن هذا التَّقديمِ قصرَ المَظلوميَّةِ عليهِم عندَ مَن لا يَرى التَّقديمَ موجِبًا لِلقَصرِ.

ويجوزُ أن يكونَ التَّقديمُ لإرادَةِ قصرِ المظلوميَّةِ، عِندَ مَن يرى أنَّ التَّقديمَ موجِبٌ لِلقصرِ، وهُمُ الجُمهورُ.

وفي إيثارِ قصرِ المظلوميَّةِ على قصرِ الظّالميَّةِ عليهم: المُبالغةُ في بيانِ بُطلانِ أعمالِهم، ورقَّةِ عُقولهم وسَخافتِها، " على أنَّ قَصرَ الأولى عليهِم مُستَلزِمٌ كما قيلَ لِما يَقتَضيه ظاهِرُ الحالِ مِن قَصرِ الثّانيةِ عليهِم، فاكتفَى بالقَصرِ الأوَّلِ عن الثّاني مَعَ رِعايةِ ما ذُكِرَ مِنَ الفائِدةِ"[1].

دِلالةُ الواوِ في: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

عادَةُ النّاسِ إيقاعُ الظُّلمِ على أنفسِهم

الواوُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حاليَّةٌ، والمعنى: إنَّ اللّه سبحانَه لا يَظلِمُ النّاسَ شيئًا، ولكنَّ الحالَ أنَّ النّاسَ أنفسَهُم يَظلمونَ، وفي التَّعبيرِ بجملةِ الحالِ اسميَّةً إيماءٌ إلى أنَّ هذا مِن دأبِ النّاسِ وعادَتِهم مع أنفسِهم أن يوقِعوا عليها الظُّلمَ.

بلاغةُ التَّذييلِ في آخرِ الآيةِ الكريمةِ:

تهديدُ المُشركينَ بحلولِ العُقوبَةِ عليهِمْ، كما حلَّت بالظَّلَمَةِ قبلَهُم

قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ تذييلٌ غيرُ جارٍ مَجرَى المثَلِ؛ لِعدمِ استقلالِه، وتعلُّقِه بما قَبلَه للكشفِ عن تمامِ معناهُ.

وهذا التَّذييلُ يشمَلُ عمومَ النّاسِ مِنَ المشركينّ الّذينَ يَستَمِعون،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/126.

ولكنَّهُم لا يَهتدونَ، ويَنظُرونَ ولَكِنْ لا يَتبصَّرونَ، "والمَقصودُ مِن هذا التَّذييلِ التَّعريضُ بالوعيدِ بأنْ سَيَنالُهُم ما نالَ جميعَ الَّذينَ ظَلَموا أنفُسَهُم بتكذيبِ رُسُلِ اللّه"[1].

توجيه القراءاتِ في لفظِ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

من لم يندم ويستدرك في الدنيا جنى الحسرة والندامة في الأخرى

في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، وفيه قرَأَ الجُمهورُ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بتَشديدِ النّونِ ونَصبِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ اسمًا لها، وفي التَّشديدِ زيادَةٌ في معنى الظُّلمِ الَّذي ارتَكَبوه في حقِّ أنفُسِهِم، وتأكيدٌ شديدٌ، وبيانٌ لحالِ هذا الظُّلمِ بسببِ أنفسِهِم.

وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ البزّارُ بتخفيفِ النّونِ (وَلَكِنِ) ورَفعِ (النّاسُ)[2]، وقد ذَهَبَ جماعةٌ مِنَ النَّحويّينَ إلى أنَّ الاختيارَ في (لَكِن) إذا قُرِنَتْ بالواوِ أن تكونَ مُشَدَّدةً، وإذا خَلَت مِنَ الواوِ أنْ تكونَ مُخَفَّفَةً؛ وذلكَ لأنَّها إذا خَلَت مِنَ الواوِ أشبَهَت (بَلْ)، ولذا خُفِّفَتْ لِتَكونَ مِثلَها في الاستِدراكِ، وإذا جاءَت بالواوِ خالَفَتها فَشُدِّدَت[3].

دِلالةُ ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ ومَوقِعُها الإعرابيُّ:

النّاسُ مَجبولونَ على صُدورِ الظُّلمِ مِنهُم

النَّفسُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ هيَ الرّوحُ الَّتي بينَ جوانِبِهِم، فيكونُ ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ مفعولًا مُقدَّمًا لـ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ تأكيدًا لـ﴿ٱلنَّاسَ﴾، والمَفعولُ به محذوفٌ، فيكونُ بِمَنزِلَةِ ضميرِ الفصلِ مع قَصرِ الظّالميَّةِ عليهم، ويحتملُ أن يكونَ الفعلُ المتعدِّي - على هذا الوجهِ - نُزِّلَ مَنزِلَةَ اللّازمِ؛ أي: أنَّ النّاسَ يصدُرُ مِنهُم ظُلمٌ، وأنَّ ذلك طَبعُهُم مِن غيرِ إرادَةِ تعلُّقِه بمفعولٍ به خاصٍّ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/180.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/219.
(3) ابن الأنباريّ، البيان في غريب القرآن: 1/413.

وفي التَّعبيرِ "عن فِعلِهم بالنَّقصِ مَعَ كَونِه تفويتًا بالكُلِّيَّةِ وإبطالًا بالمَرَّةِ؛ لِمُراعاةِ جانبِ قَرينَتِه"[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، عُبِّرَ بالفعلِ المُضارعِ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾؛ للدّلالةِ على تَجَدُّدِ الظّلمِ وحُدوثِه مِنهُم دفعَةً دفعَةً وشيئًا فشيئًا، فهو عَملٌ دائمٌ مُستمرٌّ لا يَنقَطِعُ مِنهم، قال الآلوسيُّ: "المُضارعُ المَنفيُّ للاستقبالِ، والمُثبَتُ للاستمرارِ، ومَساقُ الآيةِ الكريمةِ على الأوَّلِ لإلزامِ الحُجَّةِ، وعلى الثّاني للوعيدِ، وعلى الوجهينِ هيَ تَذييلٌ لِما سَبَقَ"[2].

ظُلمُ النّاسِ أنفُسَهُم مُتَجَدِّدَةٌ أفرادُه حينًا بعدَ حينٍ

توجيه المُتشابِهِ اللَّفظيِّ في آياتِ نَفيِ الظُّلمِ:

وَرَدَ في القرآنِ الكريمِ آياتٌ في نفي الظُّلمِ مع اختلافٍ في مُتعلَّقِ الظُّلمِ، فقال اللهُ ﷻ هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النّساء: 40]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النّساء: 49]، وقال سبحانَه: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤﴾ [النّساء: 124].

أمّا الآيتانِ الأوليان؛ وهُما قولُ اللهِ سُبحانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، فقد اتّحدَتا في التَّصديرِ بِـ ﴿إِنَّ﴾، والمُسنَدِ إليه ﴿ٱللَّهَ﴾، ونفي المضارعِ المَبنيِّ للفاعِلِ، واختَلَفَتا في مُتعلَّقِ الظُّلمِ، ووجه ذلكَ: أنَّ آيةَ النّساءِ تقدَّمَها قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩﴾ [النساء: 39]، فلمّا كانَ السّياقُ مُتعَلِّقًا أكثرَ بصفاتِ اللهِ سُبحانَه، وبالعُمومِ الّذي دلَّ عليه قولُ اللهِ سبحانَه قبلُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: 36]، كانَ المناسِبُ نفيَ الظُّلمِ عنِ اللهِ تعالى بنفي أقلِّ القليلِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/149.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/126.

منه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾؛ حيث إنَّ الذَّرَّةَ من أصغرِ الأشياءِ، فهو كنايةٌ عن انتفاءِ الظُّلمِ بالكلِّيَّةِ بخلافِ آيةِ يونسَ، فقد تقدَّمَها قولُ اللهِ سبحانَه: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾، فلمّا كانَ نفيُ الهدايَةِ عَن هؤلاءِ قد يوهِمُ أنَّ اللهَ سبحانَه ظالمٌ لَهُم؛ ناسبَه نَفيُ الظُّلمِ عنه بأقلِّ ما يُعلَمُ ويُخبَرُ عنه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾. وأمّا الآيتانِ الأُخرَيانِ، وهُما قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النساء: 49]، وقولُه ﷻ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: 124]، فقد اتَّفقَتِ الآيتانِ في نفيِ الظُّلمِ بصيغةِ المضارعِ المبنيِّ للمَفعولِ، واختلَفَتا في مُتَعَلَّقِ الظُّلمِ، ووجه المغايَرَةِ بينَهُما: أنَّ الآيةَ الأولى صُدِّرَت بقولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]، فلمّا كانَ قصدُ هؤلاءِ بتَزكيتِهِم أنفُسَهُم تَعظيمَها، ونفَى اللهُ ذلكَ عنهُم، وكانَ هذا النَّفيُ مُفيدًا حَقارتَهم، ناسبَه ذِكرُ الفَتيلِ؛ لأنَّه يُضرَبُ به المثلُ في الحقارَةِ. وأمّا الآيةُ الثّانيةُ فقد صُدِّرَت بقولِه ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [النساء: 124]، فلمّا كانَ قولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُشيرًا إلى أقلِّ القليلِ، ناسبَه ذكرُ النَّقيرِ، فقال سبحانَهُ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: 124]؛ لأنَّه يُضرَبُ به المثلُ في القِلَّةِ؛ ولكونِ لفظِ ﴿نَقِيرٗا﴾ مُناسبًا للفاصلةِ الرّائيَّةِ الّتي وردَت عليها الآيةُ الّتي تقدَّمَتها، وهي قولُه ﷻ: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: 123]، والتَّعليلُ بالتَّناسُبِ يورَدُ ههنا تبعًا لِلعلَّةِ المعنويَّةِ لا على جهةِ الاستقلالِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»